جامعة القدس

المعهد العالي للآثار الإسلامية

مكتبة الكلية العربية للمهن الطبية
Arab College of Medical Professions Library

Dec. / 2005

البيرة في الفترة الصليبية

"دراسة أثرية معمارية"

إعداد الطالب

عوني محمد شوامرة

إشراف

د. مروان أبو خلف

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لتعليمات درجة الماجستير في جامعة القدس تخصص آثار إسلامية

الفصل الأول من العام الأكاديمي ٢٠٠٠/٢٠٠١

لجنة المناقشة

د. مروان أبو خلف	(رئيساً)
د. صلاح الهودليه	(ممتحناً داخلياً)
د. نظمي الجعبة	(ممتحناً خارجياً)

فهرس المحتويات

صفحة العنوان..... ا

آيات قرآنية..... ب

الإهداء..... ت

شكر وتقدير ..... ث

قائمة المختصرات العربية ..... ج

قائمة المختصرات الأجنبية..... ح

فهرس المحتويات ..... خ

المقدمـــــــة..... 1

1. الفصل الأول: التطور التاريخي للبيرة عبر العصور 6

1.1 الموقع..... 6

2.1 التسمية..... 7

3.1 البيرة قبل الفترة الصليبية..... 7

4.1 البيرة في الفترة الصليبية..... 10

1.4.1 الإدارة وأنواع الفرسان 11

2.4.1 الاقتصاد والضرائب..... 13

5.1 البيرة بعد الفترة الصليبية 20

2. ا لفصل الثاني: البقايا الأثرية والمعمارية في البيرة 27

1.2 تخطيط قرية البيرة..... 27

2-2 أهم البقايا المعمارية الصليبية في البيرة..... 28

2.2. 1 الكنيسة 29

2.2.2 البناية المركزية (curia) 38

3.2.2. الفرن الحالي "البائكة" 43

4.2.2 المستودعات أو المخازن (Depots)..... 44

5.2.2 معصرة الزيتون "Olive Press" 46

6.2.2 بقايا بيوت بالقرب من الكنيسة..... 47

7.2.2 بقايا عقود لبيوت غرب شارع المغتربين 47
8.2.2 البرج (TOWER) 48
9.2.2 البرك 50
10.2.2 بقايا معمارية أخرى. 51
2-3 الحجارة وعلامات الصناع. 51
1.3.2 مقاطع الحجارة 51
2.3.2 تقنية الحجارة التي استخدمت بالأبنية الصليبية بالبيرة 52
3.3.2 علامات الصناع..... 55
3. الفصل الثالث: مقارنة البيرة مع المواقع الصليبية الأخرى..... 61
1.3 التخطيط وتوزيع المباني..... 61
1.1.3 مقارنة البيرة مع تخطيط القلاع..... 61
2.1.3 مقارنة تخطيط البيرة مع القرى الصليبية 64
1.2.1.3 القبيبة Qubeiba: 66
2.2.1.3 الزيب Al-Ziph..... 71
2.3 العناصر المعمارية المشتركة. 72
1.2.3 العقود Vaults..... 72
2.2.3 الأقواس المدببة Pointed Arch 74
3.2.3 الشبابيك أو الفتحات 74
4.2.3 الأعمدة والتيجان 75
5.2.3 المداخل والأبواب 75
3.3 مواد البناء 75
1.3.3 القصارة:..... 75
2.3.3 الحجارة:..... 76
4.3 علامات الصناع 76
الخاتمة 81
مصادر ومراجع الدراسة..... 84
ملخص الرسالة عربي 97
ملخص الرسالة إنجليزي 99
الملاحق 101

المقدمـــة

لقد عصفت بفلسطين موجة من الاضطرابات والتشرذم رافقت الأحداث السياســـية التي جابت كل فلسطين والمشرق، فكانت تلك الأحداث منبعثة من الصراع السني الشيعي – أي الصراع العباسي الفاطمي – بالإضافة إلى الصراعات المحلية، ولكنها بقيت محصـــورة ضمن صراع إسلامي داخلي. إلا أن الموجة المعتمة التي زعزعت كيان فلسطين، وقلبـــت الموازين رأساً على عقب والتي كان مركزها الغرب، تلك هي الحرب الدينية التي نادى بها البابا اوربان الثاني في مجمع كليرمون الكنيسي عام 1095 م، وأيده في ذلك العالم الغربـــي المسيحي. وقد دعاهم في مجمعه آنذاك إلى تحرير إخوانهم المسيحيين في الشرق، وبالتـالي فقد صبغت الحروب الصليبية منذ انطلاقها بالطابع الديني والتعصب الأعمى، إلا أنها كانت في حقيقة الأمر أشبه بحملات تهدف إلى احتلال الأرض واستغلال خيراتها.

استطاع الصليبيون احتلال فلسطين وإنشاء مملكة بيت المقـــدس عـــام 1099 م. وقـــد انشأوا المستوطنات والقلاع والقرى والعزب والمراكز الإدارية وكانت تربط بينـــها طـــرق رئيسية وفرعية أنشأت عليها مراكز وأبراج للحماية. وكانت تلك المواقع أشبه بإقطاعيـــات فيها السيد الإفرنجي، وفيها العبد وهو المواطن المحلي العربي.

كانت البيرة إحدى القرى والمراكز الإدارية الصليبية ، فأقيمت فيها الأبنية المختلفـة من كنيسة ومركز إداري للحكم، وبرج للحماية ومخازن للمحاصيل الزراعيـــة، ومعـــاصر زيتون وغيرها من المرافق.

لقد جاء اختياري لهذا البحث في إطار محاولة لتفسير الأنماط المعمارية المختلفـــة وأصولها من زاوية مختلفة قائمة على الدليل المادي، وبالتالي وقع اختياري على "البـــيرة" كنموذج غني بالعناصر المعمارية المختلفة للانطلاق لكثير من التفسيرات التي من خلالـــها يمكن بلورة فكرة محددة حول ماهية العمارة الصليبية، وعلاقتها مع العمارة الشرقية. كذلـك التأكد من مصداقية بعض ما ذكره الحجاج الأوروبيون حول البيرة.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى فحص البقايا المعمارية والأثرية الصليبية في مدينة البيرة، ومحاولة فهم أهم *الميزات لتلك البقايا*، ثم ربطها مع *المواقع الصليبية الأخرى*، وتحليل العناصر المشتركة بين تلك الأنماط والبحث في أصولها المعمارية.

كذلك تهتم بإعادة فحص مواد البناء وعلامات الصناع على الحجارة، ومحاولة فهم التقنية المتبعة في أسلوب البناء الصليبي. ومن ثم تصور نمط تخطيط مدينة البيرة من خلال البقايا الأثرية والمعمارية القائمة والدارسة في الفترة الصليبية، وتوزيع هذه البقايا التي تم توثيقها على مخطط خاص، يظهر شكل هذه المدينة خلال تلك الفترة.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات حول الفترة الصليبية بشكل عام، وحول مملكة بيت المقدس اللاتينية وما حولها بشكل خاص. لقد تطرقت هذه الدراسات إلى مدينة البيرة في الفترة الصليبية ومن أهمها مقالة للأب ابيل[1] حيث تناول فيها قرية البيرة و القبيبة. فقد تطرق إلى تسمية الموقع، كذلك تطرق إلى وصف بعض المباني مثل البناية المركزية (Curia)، والكنيسة، والبرك،وغيرها، كذلك تحدث باجاتي (B.Bagatti) في أكثر من دراسة عن البيرة، ففي دراسته التي قدمها حول قرية القبيبة تطرق إلى البيرة وتخطيطها وتوزيع المباني المختلفة في القرية، بالإضافة إلى دارسة أخرى تحت عنوان (Antichi Villaggi)[2] حول القرى الأثرية. كذلك هناك دراسة قدمها بنفنستي[3] تناول فيها كافة الأنماط المعمارية والأثرية المختلفة بالفترة الصليبية، وتطرق فيها إلى البيرة.

كما أن هناك عدة دراسات قام بها براور[4] والتي كان من أهمها دراسة حول القوانين والأعراف في المحمرة (البيرة) في الفترة الصليبية. علاوة على ذلك هنالك سلسلة من المقالات والدراسات لبرنجل تناول فيها الكثير من الأنماط المعمارية الصليبية المختلفة، ففي المقالة التي قدمها 1985[5] حيث تناول فيها البيرة فذكر بعض المباني الصليبية،

---

[1] Abel, 1926, 272-83

[2] Bagatti, 1979, pp 97-102

[3] Benvenistei, 1970, p 20

[4] Prower, 1980, p 126

[5] Pringle, 1985, pp145-50

بالإضافة إلى عمل مخطط للبيرة في الفترة الصليبية، وفي كتابه حول الكنائس الصليبية عام 1993م تناول الكنيسة الصليبية في البيرة[1]، ودراسة حول علامات الصناع[2]، وغيرها من الدراسات.

أيضا هناك دراسات ومقالات متنوعة قدمها الينبولم تناولت البيرة بالفترة الصليبية بصورة غير مباشرة مثل ومقالة عام 1996[3]، ومقالة أخرى عام 1987[4]، والتي كانت جزءاً من رسالته للماجستير، وقد تناول في تلك المقالة نمط البناء والأنواع المختلفة من الحجارة بالفترة الصليبية بالإضافة إلى دراسة قدمها راي ودراسة قدمها جورين التي ذكرت البيرة وبعض مبانيها الصليبية.

هذا عدا عن العديد من كتب الرحالة الأوروبيين مثل: روبنسون وبايديكر. بالإضافة إلى العديد من كتب الحجاج مثال فوشيه الشارتري، و وليم الصوري، ويعقوب الفيتري، ودانيال الراهب، وسايولف ، وفوكاس، ويوحنا فورز بورغ، وثيودريك وبنيامين التطيلي الذين كتبوا عن الفترة الصليبية وقد تطرقوا إلى الكثير من المواقع الصليبية بشكل عام كما تطرق بعضهم إلى البيرة بشكل مباشر.

علاوة على ذلك فقد ذكرت البيرة في بعض المصادر العربية أمثال ياقوت الحموي وأبو شامة.

أما أعمال المسوحات الأثرية فكان أولها المسح الأثري (S.W.P) لكوندر و كتشنر عام 1883 وتبعتها مسوحات على فترات مختلفة أهمها ما قامت به دائرة الآثار الإسرائيلية في الستينات وقد سجلت تلك المسوحات بدورها أهم البقايا المعمارية الصليبية في مدينة البيرة. بالإضافة إلى تقارير الزيارات والحفريات التي وثقت المباني الصليبية في البيرة من خلال الصور المحفوظة ضمن أرشيف الانتداب، علاوة على ذلك بعض تقارير الحفريات التي جرت بالمواقع الأثرية حول البيرة.

---

[1] Ibid, 1993, pp 160-63

[2] Ibid 1981, pp 173-99

[3] Ellenbulm, 1996, pp189-98

[4] Ibid, 1987, pp168-79

كل هذه الدراسات والمسوحات والحفريات والرحلات التي تطرقت للبيرة بشكل مباشر أو غير مباشر. غير أن أحدا منهم لم يتطرق إلى تخطيط قرية البيرة بالفترة الصليبية بشكل دقيق، فهناك تضارب كبير حول وجود سور يحيط بالبيرة في الفترة الصليبية، أو أنها كانت غير مسورة. كذلك لم يتطرق أحد منهم إلى تحليل أهم المباني الصليبية بالبيرة معماريا ومحاولة فهم أصول تلك العناصر المعمارية المختلفة، فنجدهم دوماً يرجعون الأصول المعمارية بالعمارة الصليبية إلى أصول غربية دون التأكد من ماهية الأصول المعمارية الشرقية التي سادت في تلك الفترة.

علاوة على ذلك فان الباحثين من مؤرخين وأثريين يتناقلون الأحداث والقصص التي ترد بكتب الرحالة والحجاج الأوروبيين دون تمحيص ودون التأكد من مصداقيتها.

منهجية الدراسة:

لقد اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع ناحيتين: الدراسة النظرية والعمل الميداني.

1- دراسة نظرية من خلال البحث في المصادر المكتوبة من كتب ومقالات وتقارير حول البيرة، بالإضافة إلى الصور القديمة من الأرشيفات زمن الانتداب (P AM).

2- دراسة ميدانية، تشمل زيارة المباني الصليبية المختلفة بالبيرة، وبالتالي يتم رسم مخططات للأبنية وتصويرها إضافة إلى وصف وتحليل لكل ما يتعلق بالمباني من حيث التخطيط، والعناصر المعمارية: كالعقود والأقواس والأرضيات، إضافة إلى مواد البناء، وعلامات الصناع. كذلك دراسة ميدانية للأنماط المعمارية المتنوعة للمواقع المنتشرة حول البيرة وبعضها في مناطق بعيدة عنها مثل عكا وكوكب الهوا.

ملخص الرسالة

اشتملت هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة فصول، خاتمة وملاحق، وقد عولج في الفصل الأول الموقع الجغرافي للبيرة وتطور التسمية عبر الفترات والعصور المختلفة. أيضا تطرق الباحث إلى تاريخ الاستيطان في البيرة منذ العصور الحجرية وحتى الفترة الصليبية موضع البحث وفي الفترة الصليبية ثم تناول تاريخ البيرة واقتصادها والضرائب حتى تحريرها عام 1187م وأخيرا تم التحدث عن البيرة بعد الفترة الصليبية ولا سيما المسجد العمري (الأيوبي) إضافة إلى الفترة المملوكية العثمانية.

وفي الفصل الثاني قام الباحث بدراسة تخطيط البيرة في الفترة الصليبية، وتم عمل مخطط خاص موضح عليه توزيع المباني الصليبية ثم دراسة أهم البقايا المعمارية وهي: الكنيسة البناية المركزية المستودعات والمخازن معصرة الزيتون بالإضافة إلى بقايا البيوت والعقود شرق وغرب شارع المغتربين وكذلك دراسة البرج المحصن (القلعة) وهو اقدم بناء صليبي في البيرة واخيرا دراست الحجارة وعلامات الصناع مثل مقاطع الحجارة والأنواع التي استخدمت في المباني الصليبية ثم دراسة علامات الصناع وأنواعها وتوزيعها على المباني المختلفة في البيرة.

أما الفصل الثالث فقد خُصص لدراسة مقارنة ما بين البيرة والمواقع الصليبية الأخرى من حيث التخطيط وتوزيع المباني مع القلاع كون البيرة في بداية تأسيسها كانت عبارة عن قلعة ثم مقارنتها مع القرى الصليبية الأخرى وذلك كون مخطط البيرة تطور من قلعة إلى قرية.

تم دراسة العناصر المعمارية المشتركة بين البيرة والمواقع الأخرى فكانت تلك العناصر، العقود، الأقواس المدببة، النوافذ، التيجان، والأعمدة، المداخل والأبواب. وأخيراً عالجت الدراسة مواد البناء من حجارة وقصارة بالإضافة إلى علامات الصناع وأصل تلك العلامات.

تم التوصل من خلال البحث إلى نتائج حول التطور العمراني بالبيرة، حيث كانت البيرة نواة استيطانية في بداية الفترة الصليبية، فقد أكدت الوثيقة الصليبية عام 1115م على وجود برج أو قلعة محاط بسور بالبيرة إضافة إلى ما ذكره الرحالة أمثال وليم الصوري

وفوستيه الشارتري حول البرج الذي احتمى به الأطفال والنساء أثناء هجوم العسقلانيون على البيرة عام 1124م وكانت البيرة في تلك الفترة تدعى المحمّرة (Mahomeria)، ثم تطورت البيرة من بؤرة استيطانية إلى قرية زراعية، حيث أقيمت البيوت على طرفي الشارع الرئيس وهو شارع المغتربين اليوم وبالتالي بنيت الكنيسة والبناية المركزية والمخازن وغيرها من الأبنية، فكان ذلك التخطيط متطابق مع تخطيط قريتي القبيبة والزيب وواصلت البيرة في تطورها حتى أصبحت بلدة كما ذكرها الرحالة الألماني ثيودريك عام 1172م. كانت المزارع والعزب تحيط بها من كافة الجوانب وعندها أطلق على البيرة اسم المحمّرة الكبرى (Magna Mahomeria) للتفريق بينها وبين القبيبة التي أطلق عليها إسم المحمّرة الصغرى(Parva Mahomeria).

علاوة على ذلك فقد استخدم الصليبيون كافة الفنون والأنماط المعمارية التي شاع استخدامها في الفترات المختلفة الهلينيستية والرومانية والبيزنطية والإسلامية المبكرة، وبالتالي فإنهم قلدوا العمارة الشرقية فكانت عمائرهم امتداد للعمارة الشرقية.

لا شك أن المباني الصليبية في البيرة بحاجة إلى الكثير من أعمال الترميم مثل البناية المركزية والمخازن والكنيسة، وبعض المواقع بحاجة إلى حفريات أثرية للتعرف على المزيد من البقايا المعمارية والأثرية مثل الفخار وقطع العملة والزجاج وغيرها من البقايا التي تزودنا بالكثير من المعلومات.

الخاتمة

بناء على ما تقدم فقد خلصت الرسالة إلى العديد من النتائج أهمها :-

أولاً :- تطور العمراني الصليبي بالبيرة كان على النحو التالي:

- أنشأ الصليبيون البرج المحصن الذي يقع شمال الكنيسة كمركز لحماية الطريق الواصل ما بين القدس ونابلس، وقد بني هذا البرج (القلعة)، وأحيط بسور قوي. كان تخطيطه مشابهة إلى الأبراج الصليبية الأولى التي كانت متأثرة بالدرجة الأولى بالعمارة العسكرية السائدة بالشرق قبل مجيء الصليبيين، مثل:العمارة الرومانية، والعمارة البيزنطية، والقصور الأموية والعباسية . في تلك الفترة ما زالت البيرة عبارة عن بؤرة استيطانية فقد ذكرت الوثائق الصليبية عام 1115م البيرة (المحمرة وكانت محاطة بسور)، والمقصود هو البرج المحصن وليست القرية بشكل عام.

- تطورت الناحية الاقتصادية ورافقها تطور للناحية العمرانية وبالتالي زاد عدد المستوطنين، وأخذت المستوطنة بالاتساع. عندها أطلق عليها أسم المحمرة الكبرى للتفريق بينها وبين القبيبة التي كانت تدعى المحمرة الصغرى . أنشئت الكنيسة الصليبية في ذلك الوقت إضافة إلى المركز الإداري (Curia) (الخان الحالي)، الذي كان يمثل المركز الإداري لمستوطنة البيرة الصليبية. وليس مركز عسكري كما يفترض بعض الباحثين والاثاريون مثل برنجل (D.Pringle).

- تواصلت البيرة في الفترة الصليبية في تطورها، وازدادت أهميتها حتى أصبحت بلدة أو مركز إداري للمناطق التي تحيط بها. بدليل ما ذكره الرحالة الحاج الألماني ثيودوريك عن البيرة عام 1172م الذي قال عنها أنها بلدة . كذلك سنّ الصليبيون قانون خاص بالمحمرة (البيرة)، يتعلق بالزراعة، وأن دل هذا فإنه يدل على مدى أهمية البيرة من بين المواقع الصليبية بفلسطين بشكل عام وبالمناطق الصليبية شمال مملكة بيت المقدس بشكل خاص.

بالتالي فإن موقع البيرة على الطريق الرئيس الذي يربط مملكة بيت المقدس مع شمال فلسطين، كان سببا جوهريا في التطور السريع، الذي حدث بالبيرة، وهكذا فإن البيرة من حيث التخطيط تتشابه إلى حد كبير مع القرى الصليبية التي كشفت عنها الحفريات

الأثرية مثال القبيبة والزيب، وهي عبارة عن شارع رئيسي يقسم القرية إلى قسمين، بحيث تقام المباني على جانبي الشارع، وتتوسط الكنيسة القرية، وهذا ما ينطبق مع البيرة، فنجد أن شارع المغتربين (اليوم)، كان يقسم القرية إلى قسمين. أقيمت المباني على جانبي الشارع التي ما زالت تلك البقايا قائمة، ففي شمال القرية، حيث كان المركز العسكري الممثل بالبرج أو القلعة المحصنة، والكنيسة في الوسط أما جنوبها فكان المركز الإداري والاقتصادي ممثل بالبناية المركزية، والمستودعات، إضافة إلى المناطق الزراعية والبرك.

ثانياً :استخدام العناصر المعمارية التي كانت سائدة في الفترة الصليبية مثال العقود البرميلية المدببة ، والأقواس المدببة، والنوافذ الواسعة، التي تتسع من الداخل وتضيق من الخارج (أشبه بفتحان الرمي) وغيرها، من العناصر المعمارية، التي ترجع إلى أصول معمارية كانت سائدة قبل الصليبين. وبالتالي فإن العمارة الصليبية هي تواصل في استخدام العناصر المعمارية من الفترات السابقة للفترة الصليبية، واستمرت في العمارة الأيوبية والمملوكية والعثمانية.

ثالثاً: مواد البناء

استخدمت الحجارة غير المشذبة في بناء الجدران الخارجية للأبنية الصليبية بالبيرة، مثال: الكنيسة، وسور البرج (القلعة) والبناية المركزية. وهذا النوع من الحجارة كان يبنى بدون وضع مونه بين الحجارة، وإنما تتركز تلك الحجارة على حجارة صغيرة (أسافين).

أيضاً استخدام حجارة مشذبة الأطراف (الهوامش) كان بشكل قليل، حيث كانت تلك الحجارة تستخدم بشكل قليل، ثم ازداد استخدامها حتى بلغ الأمر إلى بناء كافة الواجهات الخارجية منها، وكان ذلك في نهاية الفترة الصليبية واستمر الحال إلى الفترة الأيوبية.

- **القصارة:** تم التعرف على تقنية كانت سائدة في الفترة الصليبية تتعلق بعمل زخارف على شكل سنبلة الحنطة أو غصن النخيل وقد ظهرت تلك الزخارف والعلامات على جدران الكنيسة الداخلية والجدران الخارجية للبناية المركزية (الخان)، وظهرت أيضاً بقلعة جفنا الصليبية.

- علامات الصناع بالبيرة:

ظهرت فقط على الحجارة ذات السطوح الملساء، وتعدد طرز وأشكال تلك العلامات، والتي يتشابه معظمها مع المواقع الصليبية الأخرى، في حين فإن النجمة السداسية هي إحدى

العلامات التي ظهرت بالبيرة، وهي عبارة عن وحدة زخرفية إسلامية ظهرت بالزخارف الأموية، وعلى قطع العملة الأيوبية، وليست بنجمة داود كما يفترض البعض مثال ايلنبولم (R.Ellenblum).

- رابعاً :-

الجامع الأيوبي (العمري) هو بناء أيوبي، بني بعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للقرية، وليس بناء صليبي، كما أفترض برنجل (D.Pringle) بدليل النقش الذي كان يعلو الباب.

على الرغم من النشاط الإنساني وعوامل الطبيعة من تجوية، وتعرية وانجرافات. إلا أن جزءاً من الأبنية الصليبية ما زال قائم ومحافظا تقريباً على معظم أجزاءه، وذلك راجع إلى تواصل الاستخدام الحضاري لتلك الأبنية من الفترة الصليبية إلى هذه اللحظة التي نعيش .